النبي تسامح

صلى الله عليه وآله وسلم

إعداد: محمود وهاب
رسوم: وحيد خاتمي

المسجد مليءٌ بالجموع الغفيرة. دخل النبي الأكرم ﷺ إلى المسجد. المرض الشديد بادٍ بوضوحٍ على وجهه المنير. قام الجميع من مكانه احتراماً للنبي ﷺ، وسلّموا عليه. تبسّم النبي ﷺ لهم، ولكنّها كانت بسمةً شاحبة. ألقى رسول الله ﷺ السلام على الحاضرين، واعتلى المنبر، ثمّ بدأ بالتحدّث على مهلٍ وهدوء. هذه المرّة، كانت تفوح من بين طيّات كلامه رائحة غريبة، رائحة الوداع والهجران. قال ﷺ: «**معاشر أصحابي، أيّ نبيٍّ كنت لكم؟ ألم أجاهد بين أظهركم؟ ألم تكسر رباعيّتي؟ ألم يعفر جبيني؟ ألم تسل الدماء على حرّ وجهي حتى كنفت لحيتي؟ ألم أكابد الشدّة والجهد مع جهّال قومي؟ ألم أربط حجر المجاعة على بطني؟**»

أجابه الناس بتأوّهٍ والدموع تنهمر على آماقهم: «**بلى يا رسول اللّه، لقد كنت للّه صابراً... فجزاك اللّه عنّا أفضل الجزاء**».

قال النبي ﷺ: «**إنّ ربّي (عزّ وجلّ) حكم وأقسم أن لا يجوزه ظلم ظالم، فنشدتكم بالله، أيّ رجل منكم كانت له قبل محمّد مظلمة إلا قام فليقتص منه؛ فالقصاص في دار الدنيا أحب إلي من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والأنبياء**».

ارتفع صوت البكاء والعويل، ولفّ أرجاء المسجد. فجأةً، قام رجلٌ عجوز، يُدعى «سؤادة بن قيس»، من بين الجموع، وقال: «**فداك أبي وأمي يا رسول الله، إنّك لما أقبلت من الطائف، استقبلتك وأنت على ناقتك العضباء وبيدك القضيب الممشوق، فرفعت القضيب، وأنت تريد الراحلة، فأصاب بطني، فلا أدري عمداً أو خطأ**».

فقال ﷺ: «**معاذ الله أن أكون تعمّدت**»

حدّق الجميع ببعضهم، ودوّت همهمةٌ: «**الاقتصاص من النبي؟!**»

لم يكن أحدٌ يصدق ما تسمعه أُذناه.

نادى النبي ﷺ بلال، وقال له: «**اذهب إلى منزل ابنتي فاطمة، وأحضر عصايَ**»

فذهب على الفور، وأحضر العصا. قال النبي ﷺ: «**يا سؤادة، اقترب!**»

شقّ سؤادة الجموع، واتّجه نحو النبي ﷺ. غضب الناس بشدّة من سؤادة، لأنّه طلب القصاص بعصا الرسول ﷺ نفسها.

أمسك سؤادة بالعصا، وقال: «**اكشف لي عن بطنك يا رسول الله**».

رفع النبي ﷺ قميصه، في حين أنّ الناس بدؤوا ضرب راحات أيديهم ببعضها، حزناً، وهم يبكون؛ لم يتحمّلوا مشهد أنّ يُضرب النبي ﷺ. فجأةً، وبعيداً عن أيّ توقع، انحنى سؤادة، وقبّل النبي ﷺ في بطنه. كان سؤادة يحبّ النبي ﷺ حبّاً جمّاً، وأراد أن يضمّه إلصدره في آخر أيّام حياته ﷺ وأن يُظهر له محبّته. رفعه النبي ﷺ، وقال له: «**يا سؤادة أتعفو أم تقتصّ؟**»

قال سؤاده، وقد فاضت عينيه بالدموع: «**بل أعفو يا رسول الله**».

رفع رسول الله ﷺ يديه نحو السماء، ودعا الله (عزّ وجلّ) قائلاً: «**اللهم، اعف عن سؤادة بن قيس، كما عفا عن نبيِّك محمَّد**».